البيان المفيد

في علم التوحيد

وهو مختصر شرح الخريدة للإمام الدردير

المقرر على الصف الثاني الاعدادي الأزهري

تأليف

الدكتور أحمد حجازي السقا

الجزء الثاني

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

محمد محمد إمبابي

ت : ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

((شهد الله : انه لا اله الا هو ، والملائكة وأولوا العلم ، قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسـلام ، ومـا اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعـد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب ، فان حاجوك ، فقل : اسلمت وجهى لله ، ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد)) (آل عمران ١٨ ــ ٢٠) .

الأزهر ــ القسم الإعدادى

المنهج المقرر على الصف الثانى فى علم التوحيد

درس واحد فى الأسبوع

أولا ــ مقدمة عن :

أ ــ تعريف علم التوحيد ب ــ موضوعه ت ــ فائدته ث ــ الحكم العقلى ج ــ أقسام الحكم العقلى . وهى : الواجب والجائز والمستحيل .

ثانيا ــ الالهيات :

أ ــ الصفات الواجبة لله عز وجل ب ــ بيان معنى كل صفة من الصفات الآتية ، واقامة الدليل العقلى والنقلى عليها . وهى :

١ ــ الوجود ٢ ــ القدم ٣ ــ البقاء ٤ ــ المخالفة للحوادث ٥ ــ القيام بالنفس ٦ ــ الوحدانية .

ب ــ بيان أضداد الصفات السابقة .

ثالثا ــ الايمان والاسلام :

(أ) الآيات التى ترشد الى معرفة الله تعالى .

(ب) معنى الايمان والاسلام .

(جـ) مذهب العلماء فى الايمان والأعمال .

بسم الله الرحمن الرحيم

التقـديم للكتـــاب

الحمد لله رب العـــالمين ، والصـــلاة والســـلام على خـــاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطـــاهرين ، وعلى من تبعهم بخير واحسان الى يوم الدين .

وبعـــــد ...

فان الامام احمد الدردير — رحمة الله تعـــالى عليه — قد ألف قصـــيدة فى موضوعات علم التوحيد ، وسماها « الخريدة » أى اللؤلؤة الغالية الثمن التى لم تثقب . ثم شرحها . وسمى شرحه « شرح الخريدة » وقد قررت ادارة الأزهر فى ســـنة ١٣٧٣ هجرية تدريس منهج علم التوحيد فى القسم الاعدادى من كتاب شرح الخريدة .

ولأن طلاب هذا العصر ليسوا كالطلاب فى عصر المؤلف ، رأينا أن نشرح المنهج المقرر بأسلوب بسيط يقدر الطلاب على فهمه . وهذا هو مقرر السنة الثانية .

ونشكر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ **محمود مصطفى بدوى** • مدير منطقة المنصورة الأزهرية سابقا على تفضله بالمراجعة وحسن التوجيه .

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

د. احمد حجازى احمد السقا

الحائز على درجة الدكتوراه — من كلية أصول الدين — جامعـــة الأزهر . فى موضوع : **« البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل »** .

تمهيـــــــد

نزل القرآن الكريم باللغة العربية على محمد صلى الله عليه وســـلم النبى الأمى العربى ، وبلغه للناس كما سمعه من الله عز وجل . وفسر منه آيات للذين طلبوا التفسير . وجاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من بعده ، فجمعه فى مصحف واحد . ولمـــا اختلف القراء فى نطق الكلمة الواحدة ، جمعهم عثمان رضى الله عنه ، على لهجة قريش . وانطلق العـــرب الذين اسلموا بالقرآن الى البـــلاد ، وحفظوه لمن أراد أن يحـــفظ منهم ، وفسروا معـــانيه ، ووضحوا أغراضـــه . وكانوا يحكمون بما أنزل الله ، ويقضون بالعـــدل .

وأول خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين على ابن أبى طالب وبين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضى الله عنهم . فى موضوع « قتل عثمان بن عفان » رضى الله عنه . ولمـــا انتهى الخلاف على ما انتهى اليه . خرج جمع من جند « على » عليه ، وحكموا عليـــه بالكفر وحاربوه فى عدة مواقع . وانتصر عليهم . وبعد موته رضى الله عنه اجتمع المنهزمون الذين خرجوا عليـــه . على أصول فى الدين وضـــعوها(١) . ومنهـــا :

١ ــ ان المسلم الناطق بالشهادتين ، ويرتكب المحرمات يعتبر كافرا . ويعامل معاملة الكافر . فلا يغسل اذا مات ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

٢ ــ ان الصلاة المفروضة ليست خمســـة فروض ، بل هى فرض الصبح وفرض العشاء .

---

(١) أقوال الخوارج مذكورة فى تفسير الامام فخر الدين الرازى . وفى الفصل فى الملل والآراء والنحل لابن حزم وغيرهما . وعلماء أهل الســـنة يذكرون آراءهم وآراء المعتزلة فى كتبهم للعلم بالشىء .

٣ ــ ان اصول الدين الاسلامى لا تكون الا من القرآن وحده .

٤ ــ ان الاسلام قول وعمل . لا قول فقط . فان ابليس كان يعرف الله ، وكفر بعدم العمل ، لا بانكار الله .

وفى زمان هؤلاء الخوارج ، كان المسلمون يتلقون أفكار اليونان عن طريق الترجمة ، وكان من اهل الكتاب علماء يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ليكيدوا للاسلام كيداً . وظهر من اهل بلاد فارس الذين دخلوا فى الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أناس تعصبوا لعلى وابنائه وآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فى مواجهة الخوارج الذين رفضوه واساءوا اليه . وفى هذا الزمان ايضا دخل فى الاسلام كثيرون من غير العرب ، واحتاجوا الى تفسير الدين وفهم اللغة .

ومن اجل ذلك ، اضطر المخلصون من العلماء الى تفسير الدين تفسيرا صحيحا ، والى تعقب آراء أصحاب الأهواء بالبيان والنقد .

ومن امثلة ذلك :

١ ــ ان الخوارج ينكرون رجم المحصن .

٢ ــ وان الشيعة يقولون : ان ابا بكر وعمر قد ظلما عليا بأخذ الخلافة منه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نص على خلافة « على » له من بعده . ويفسرون آيات من القرآن على هواهم فى حب على وأبنائه . فيقولون فى : « مرج البحرين . يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان . فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » أن البحران هما على وفاطمة . واللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين .

٣ ــ واهل الكتاب يقولون : ان فى القرآن ان الله لا يبدل كلامه[1] . والتوراة كلامه . فلماذا بدله بالقرآن ؟

٤ ــ وظهر فى المسلمين جماعة قالوا بضد ما قال الخوارج فى

(١) المراد : عدم تبديل كلامه فى الوعد والوعيد .

المسلم العاصى . قالوا : لا تحكم عليه بايمان ولا بكفر . وترجىء أمره الى الله فى الآخرة . ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه . ولقبوا انفسهم بالمرجئة .

تلك أمثلة على ما كان يحدث فى صدور الاسلام ، يتبين منها ظهور آراء لأهل الأهواء . كانوا يهدفون منها الى الطعن فى الدين .

وقد هيأ الله لدينه رجالا لا يخشون أحدا الا الله . منهم ابن عباس وابن عمر والحسن البصرى ومجاهد وغيرهم — رضى الله عنهم — رجال جلسوا فى المساجد وعلموا القرآن الكريم ، وتتبعوا احاديث النبى صلى الله عليه وسلم وجمعوها وكتبوها ، ثم فصلوا الصحيح منها عن الباطل وميزوه . ثم فسروا أصول الدين تفسيرا حسنا ، وسموا مذهبهم فى التفسير مذهب أهل السنة ، فى مواجهة الخوارج الذين سموا مذهبهم بمذهب أهل القرآن وحده(١) .

وفى يوم من الأيام كان الحسن البصرى رضى الله عنه يلقى درسا على طلاب علم فى مسجد « البصرة » وكان من الطلاب طالب يدعى بـ « واصل ابن عطاء الغزال » هذا سأله عن المسلم الذى يصلى ويصوم ، ثم يعمل أعمالا سيئة . كالغش والسرقة وغيرهما من الأعمال السيئة هل هو مؤمن كما يقول المرجئة ، أو هو كافر كما يقول الخوارج ؟ لأن هذا المسلم العاصى ليس بمؤمن خالص لوجود الأعمال السيئة منه ، وليس بكافر لنطقه بالشهادتين . وقبل أن ينطق الحسن رضى الله عنه . قال واصل : أنا لا أقول هو مؤمن ، ولا أقول هو كافر . وانما أقول هو فى منزلة بين المنزلتين ، هما منزلة الايمان ومنزلة الكفر . وهذه المنزلة هى منزلة « الفسق » ومعناها : انه لا تقبل له شهادة على البيع والشراء والنكاح والعتق ، وغير ذلك ، ولا

(١) انظر شبه الخوارج على السنة فى المجلد الثانى من كتاب المحصول فى أصول الفقه للامام فخر الدين الرازى .

يكون معظما فى المسلمين . واذا مات يغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ، ويرثه أهله . على عكس الخوارج الذين يقولون هو كافر لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ولا يرثه أهله .

ثم ان « واصل بن عطاء » قام عن مجلس الحسن ، وجلس بجوار عمود من أعمدة المسجد ووضح رأيه بأدلة . وعندئذ قال الحسن : اعتزلنا واصل . فسمى هو وأصحابه بالمعتزلة . وقيل فى سبب تسميتهم : غير ذلك .

ومن ذلك اليوم ظهرت فرقة جديدة من فرق المسلمين . هى فرقة أهل الاعتزال ، الذين سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد .

وقد وضعوا لهم خمسة أصول فى علم التوحيد هى :

١ ــ التوحيد ٢ ــ والعدل ٣ ــ والوعد والوعيد ٤ ــ والمنزلة بين المنزلتين ٥ ــ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فالتوحيد : هو أن الله اله واحد ، وليس بجسم ، وليس فى مكان بذاته . وانما هو فى كل مكان بعلمه .

والعدل : هو ان الله تعالى منح العبد القدرة على أن يفعل الشىء وعلى أن لا يفعله . وذلك لكى يأتى يوم القيامة ليأخذ جزاءه على عمله ، ولا يعترض على الله أثنــاء سوء الحساب بأنه هو الذى كتب عليه النشر والزمه به وطلبه منه .

والوعد : هو قول الله للطائع : سادخلك الجنة . وقوله للعاصى : سأدخلك النار . وفى القيامة يقولون : لابد أن يتحقق ذلك .

أما المنزلة بين المنزلتين : فانها تكون فى الدنيا . ومعناها : أن المسلم العاصى يكون فى منزلة بين الكفر وبين الايمان . هى كونه فاسقا ترد شهادته على الناس . وينبذ من المجتمع .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : واجبان على كل مسلم ، لكن تنفيذ الأحكام على العصاة واجب على ولاة الأمر .

وعلى هذه الأصول الخمسة ، فسروا القرآن ، ووضحوا أغراضه ، وبينوا مقاصده . فمثلا في قوله تعالى : « ما أصـــاب من مصيبة من الأرض ولا في أنفسكم ، الا في كتاب من قبل أن نبرأها . ان ذلك على الله يسير » يفسرون المصيبة بالزلازل والبراكين والزوابع والآفات التي تأتي في الطبيعة بسبب تكوين الله لها . ولا يفسرون المصيبة بعموم المصائب . وذلك لأنهم يقولون : ان المصائب التي بسبب الحسد تكون من الناس ، ولا تكون من الله . لأن الله لم يكتب الشقاوة ولا السعادة على المرء ، في حالة كونه . في بطن أمه . وفي قوله تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » يقولون : القرآن هو الذكر ، وهو محدث قد خلقه الله وليس بقديم . وهكذا .

وسار الخلفاء العباسيون على آرائهم ، وألزموا الناس بهـــا مدة من الزمان . وكان منهم « الجاحظ » و « النظام » و « أبو الحسن الأشعري » و « القاضي عبد الجبار بن أحمد » وكثيرون ممن اشتهروا بتأليف الكتب .

ومن كتبهم المطبوعة :

تفسير الكشاف — شرح الأصـــول الخمسة — تثبيت دلائل النبوة — المغني في أبواب التوحيـــد والعدل — الانتصـــار — المجـــموع في المحيط بالتكاليف — المعتمد في أصول الفقه — تنزيه القرآن عن المطاعن .

ثم خرج الامام الأشعري . أبو الحسن — رضي الله عنـــه — منهم ، وعاب عليهم بعض آرائهم . وأنكر عليهم انكارهم لبعض أحـــاديث نبـــوية هي ضد لآرائهم في الدين وألف في علم التوحيد كتاب « الابانة عن أصـــول الدين » وكتاب « اللمع » وبين أن المعتزلة خالفوا الحق . في مسائل منها :

١ — انهم أنكروا رؤية الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

٢ — وقالوا : ان العبد يقدر على خلق أفعـــاله .

٣ — وقالوا : ان صـــفات الله عين ذاته .

٤ — وقالوا : بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى .

٥ — وانكر بعضهم عذاب القبر ونعيمه والمساءلة فيه .

٦ — وانكر بعضهم بقاء الجنة والنار فى يوم الدين .

ثم قرر مذهبه على ثلاثة ادلة : هى ١ — القرآن الكريم ٢ — والسنة النبوية سواء كانت عن طريق الآحاد أو عن طريق التواتر ٣ — والمأثور عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين . وسماه بمذهب اهل السنة والجماعة . اى الآخذين بالحديث النبوى مع القرآن الكريم .

وبعدما اكتمل مذهبه ، وتلقاه المسلمون السنيون بالقبول ، ونفر الناس عن مذهب الخوارج وأهل الاعتزال . صار فى العالم الاسلامى كله مذهبان كبيران : هما مذهب الشيعة . ومذهب الأشاعرة .

وقد انتشر مذهب الشيعة فى « مصر » قبل انتشار المذهب الأشعرى

ذلك ان « المعز لدين الله الفاطمى » جاء الى « مصر » من بلاد المغرب وحكمها على مذهب آل البيت — وهو مذهب الشيعة — وأسس « الجامع الأزهر » ودرس فيه للطلاب فقه الشيعة الامامية ، وعقائد الاسلام على مذهب الشيعة . وظلت « مصر » دولة شيعية ، وظل « الجامع الأزهر » على عقائدهم وفقههم ، مدة طويلة من الزمان .

وفى عصر الدولة الأيوبية . انقلبت « مصر » من دولة شيعية الى دولة سنية . وتغير حال التدريس فى « الجامع الأزهر »(١) .

فقد درس فيه علماء أهل السنة ، بدل علماء أهل التشيع . درسوا فيه العقائد على مذهب أبى الحسن الأشعرى ، ودرسوا فيه الفقه على المذاهب الأربعة . وهى : مذهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية . وما يزال المذهب السنى قائما فى « مصر » الى هذا اليوم .

---

(١) راجع كتاب الأزهر فى ألف عام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجة — نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة .

ايها الطالب النجيب :

انت تدرس العقائد الاسلامية على مذهب أبى الحسن الأشعرى — رضى الله عنه — لا على مذهب المرجئة ، ولا على مذهب الخوارج ، ولا على مذهب الشيعة ، ولا على مذهب المعتزلة . **انت سنى المذهب ، أشعرى العقيدة .**

ومعنى سنى المذهب : ان المذاهب السنية فى الفقه هى : أربع مذاهب ، كلها صحيحة . لو عبدت الله تعالى على أى مذهب منها ، فانك تكون واصلا الى الله . فان هذه المذاهب تستمد أدلتها من القرآن والسنة . وهى لا تختلف فى الأدلة . وانما تختلف فى تفسير الأدلة(١) .

ومثال ذلك : قوله تعالى : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » فبعضهم فسر الطهر بانقطاع دم الحيض . وبعضهم فسره بانقطاع الدم والغسل من الماء بعد انقطاعه . فهم لم يختلفوا فى صحة النص القرآنى ، بل فى تفسير النص .

وقد يختلفون فى صحة نص الحديث الذى سيستندون عليه فى تقرير الحكم . وكلهم قالوا : ان صح الحديث فهو مذهبنا . ولا نتجه الى الرأى اذا وجد الحديث الصحيح . ومثاله : احاديث المسح على الخفين واحاديث القنوت فى صلاة الفجر . والرجيع فى الآذان ، وكون الاقامة للصلاة مثنى أو فرادى . فالذى صح عنده الحديث أخذ به ، والذى لم يصح عنده ، لم يأخذ به .

فالمذاهب الفقهية هى مذاهب تفسيرية . ليس مذهب منها أصح من مذهب .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

---

(١) راجع كتاب الأستاذ الامام عبد الغنى الراجحى / جهاده فى الدعوة والرد على المخالفين — نشر دار البيان العربى بالقاهرة — خلف جامع الأزهر .

وقد اجاز كثيرون من العلماء التنقل بين المذاهب . بمعنى لو توضـأ انسان على مذهب الشافعى وصلى على مذهب ابى حنيفة . فالوضـوء صحيح والصلاة صحيحة . مع انهما مذهبـان مستقلان . وسبب الجواز : انها مذاهب تفسيرية . والمقلد لهما قد رأى الرجحان مع أحدهما ولم يره مع الآخر . وهذا تجده مبينا فى « الميزان » للامام الشعرانى ، وفى « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » للامام ابن رشد .

والمملكة العربية السعودية فى عصرنا الحاضر تدرس المذهب السلفى ، لطلاب العلم وتصرح بأن فى مذهب الأشاعرة الخطاء . اهمها :

١ — ان مذهب الأشاعرة يجوز صـدور الكرامات عن الأوليـاء فى حياتهم ومن بعد موتهم . مما تسبب عنه ظهور بدع كثيرة(١) بين المسلمين . هى : ان العـوام يتوسلون بهم الى الله ، ويعتقدون انهم ينفعون أو يضرون . وفى موالدهم تحدث منكرات بسبب اختلاط الرجـال بالنساء ، وفى أورادهم وأذكارهم كلام غير مفهوم . والسلفيون ينادون بهـدم أضرحة الموتى ومنع الموالد والغاء الاحتفالات بمواسم الطاعات . كليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ودعاء نصف شعبان .

٢ — ان مذهب الأشاعرة يجوز المجاز فى القرآن الكريم . والسلفيون يمنعونه . ويترتب على نفى المجاز : أن قوله تعالى : « غضب الله عليهم » وقوله : « ان الله لا يستحيى » وفرح الرب من العبد التائب . كل ذلك وشبهه عند السلفيين على حقيقته . بلا تأويل . فالله يغضب حقيقـة ويستحى حقيقة ويفرح حقيقة . بلا تشبيه ولا تمثيل .

والأشاعرة يقولون : هو لا يغضب على الحقيقة . لأن الغضب يدل على التغير والاضطراب والانفعال . والتغير وشبهه من صفات الحوادث . والله منزه عنها . ولذلك ينبغى تفسير الغضب بأنه هو عـدم الرضـا عن الكافرين . وتفسير الفرح بأنه هو راض عن توبة التائب ، وتفسير الاستحياء بأنه يحق الحق ويظهره بوضوح تام . وهكذا . وقد عبر الله عن نفسـه

(١) لا احد من المسلمين يوافق على البدع فى الدين .

بصفات الانسان — وما هو بانسان — ليقرب ذاته الى عقول الناس . أما هو فليس كمثله شيء .

ويقول الأشاعرة : أن التأويل لابد منه . فقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » لا ينبغى تفسيره على ظاهر اللفظ ، لأن الله لا ينسى . وتفسيره على المجاز واجب . بمعنى اهملوا تعاليم الله فاهملهم واساء اليهم . وقوله : « لا تحزن ان الله معنا » لا يصح تفسير المعية بمعية الجسم ، لأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وتفسيره على المجاز واجب . بمعنى أن الله معهما بعنايته ورعايته وتأييده ونصره .

وأما قول الأشاعرة بكرامات للاولياء . فهذا على مذهبهم فى بقاء النفس من بعد الموت . ذلك لأنهم يقولون : ان فى كل انسان ثلاثة أشياء ١ — جسده ٢ — وروحه الذى يتنفس به ٣ — ونفسه(١) . أما الجسد والروح الذى يتنفس به . فانهما يفنيان بالموت . وأما نفسه فانها تبقى ولا تموت . والنفس التى تبقى ولا تموت هى التى يشير اليها القرآن الكريم بقوله : « يا ايتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » هكذا يقول الأشاعرة . وهكذا يقول السلفيون . وهما معا يقولان : ان النفس جسم . خلافا للفلاسفة الذين يقولون انها روح مجرد(٢) .

فاذا اثبتا بقاء النفس ، واثبتا انها جسم له اتصال بقبر الميت وله صلة بالأحياء . فما هو الخلاف اذن بين السلفيين وبين الأشاعرة ؟ واذا كانت ادلة الفريقين من الاحاديث على درجة واحدة . فلماذا اظهار الخلاف والتعصب له ؟ وكرامات الأحياء ثابتة لأن النفس حية . أما كرامات الأموات . فانها لا تثبت الا اذا ثبت للنفس بقاء من بعد الموت .

---

(١) النفس تسمى أيضا الروح وتسمى الانسان .

(٢) قد وضحت حقيقة النفس فى تطبيق على « شرح عيون الحكمة » وبينت خلاف العلماء فى بقائها أو فنائها من بعد الموت .

وكلام السلفيين فى « النفس » الذى حكاه « ابن قيم الجوزية » عنهم فى كتابه « الروح » هو نفسه كلام الأشاعرة الذى حـكاه « فخـر الدين الرازى » عنهم فى كتابه « الأرواح العالية والسافلة » وهو الجزء السابع من « المطالب العالية من العلم الالهى » .

وهاتان المسألتان هما نقطتا الخـلاف بين جمهور الأشاعرة وجمهور السلفيين . وما عداهما متفق عليه بين الجميع ، لأن مصدر المذهبين واحد . وهو القرآن الكريم والسنة سواء كانت عن طريق الآحـاد أو عن طريق المتواتر ، والمـأثور عن الصحابة والتابعين .

هذا تمهيد ، غير مقرر ، ولكنه لابد منـه ، لتعرف من أنت من بين المسلمين .

علم التوحيد

العلم الذى نبحث فيه عن ذات الله وفى صفاته ، وعن أنبيائه ورسله ، وفى ما تحدث به الأنبياء الى الناس نيابة عن الله ، **يسمى(١) بعلم التوحيد ، او بعلم العقيدة ، أو بعلم الكلام** . وهو يسمى بعلم التوحيد لانه يقيم الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته . ويسمى بعلم العقيدة لأن الدين مكون من عقائد وتشريعات . فالعقائد محلها كتب العقيدة ، والتشريعات محلها كتب الفقه ، وكتب أصول الفقه . وهو يسمى بعلم الكلام . لأن أول موضوع عقائدى كثر فيه الكلام بين المعتزلة وأهل السنة هو كلام الله تعالى . الذى هو القرآن . فالمعتزلة يقولون : هو مخلوق . وأهل السنة يقولون هو قديم .

وكان العلم فى صدر الاسلام على علم بعلوم الاسلام كلها . كان على علم بالفقه وأصول الفقه والنحو والبلاغة والتوحيد والتفسير والحديث وسائر العلوم . ثم انه لما كثر البحث واتسعت آفاق المعرفة ، احتاج كل علم الى متخصصين فيه . **واختص علم التوحيد** أ — بالبحث عن الأدلة على وجود الله ، وبالبحث عما يجب وعما يستحيل وعما يجوز فى حق الله تعالى . ب — وبالبحث عن أنبياء الله ورسله — عليهم السلام — من حيث اثبات النبوة ، وما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز فى حقهم . ت — وبالبحث عن السمعيات التى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى الايمان بيوم القيامة وما فيه من أهوال ، والايمان بالجنة والنار . وما شابه ذلك من الأمور الغيبية التى لا ندركها بحواسنا ، بل نعرفها بالأدلة السمعية من القرآن والسنة .

---

(١) ويسمى بالفلسفة الاسلامية . ويسمى بالعلم الالهى . والعلم بلسان اليونانيين : باثولوجيا .

ودراسة علم التوحيد لابد منها للمسلم :

١ ــ فانه به يعرف وجود الله خالقه ورازقه ، ويستيقن من وجــوده من الادلة التى يعرفها عنه واذا عرف الله بالدليل ، لا يكون مقلدا لغيره ، ولا يقدر اى ملحــد أن يزحزحه عن دينــه بالشبهات الباطلة ، ولا يقــدر الشيطان أن يصرفه عن عبادة الله الى عبادة الأصنام . واذا عرف المسلم ربه ، وعرف انه اذا أماته ، سيبعثه من مرقده وسيحييه فى الدار الآخرة وسيحاسبه على اعماله كلها ان خيرا فخير ، وان شرا فشرا . اذا عرف المسلم ذلك ، فانه يخاف من ربه ، ولا يقترف اثما ولا يفعل ذنبا . ومن خاف من ربه واجتنب ما نهى عنه ، فانه يحيا حياة طيبة فى الدنيا ، ويكون له فى الجنة ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين .

٢ ــ وبعلم التوحيد يعرف الانسان انبياء الله ورسله . وكيف أيدهم بخوارق العادات ، ليؤمن الناس بأنهم انبياء ورسل من عند الله . ويعرف ان الأنبياء قد أرسلهم الله تعالى بأوامر ونواهى لاصــلاح النفوس ، وأن المكذبين للرسل . قد عاندوا الله بتكذيبهم ، وظلموا أنفسهم بابتعادهم عن ربهم . ولذلك أوذوا وعذبوا . ومن يدرس علم التوحيد ، ويفقه هذا المعنى ، يقتدى بالرسل فى أفعالهم ، ويخاف من مخالفة أمر ربه . وبذلك ينجو من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

٣ ــ وبعلم التوحيد يعرف الانسان الكتب التى انزلها الله تعــالى على بعض انبيائه ورسله . يعرف صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وانجيل عيسى بن مريم . ويعرف من القرآن انه كان فى هذه الكتب مواعظ وآداب وتشريعات . اقر القرآن بعضها ، ونسخ بعضها وممــا اقره فى العقائد والأخلاق : « الا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » وهذا كان مذكور فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلاوم لقوله تعالى : « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وابراهيم الذى وفى : الا تزر وازرة وزر اخرى ... الخ » ومما اقره فى التشريعات : « وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالاذن والسن بالسن . والجروح قصاص » .

ويعرف من توراة موسى عليه السلام أن فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وانه سيكون خاتم النبيين . ويعرف من زبور داود عليه السلام ان داود نبه فى زبوره على مجىء محمد صلى الله عليه وسلم ، وحث بنى اسرائيل على اتباعه اذا جاء ، ويعرف من انجيل عيسى عليه السلام انه بشر باحمد صلى الله عليه وسلم وكان مصدقا للتوراة . وهذه المعرفة تؤكد ايمان المسلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوى النبوة ، وتزيده ايمانا بصحة دين الاسلام . واذا عرف هذه الكتب ، سوف يعرف من نصوصها أنها محرفة . فيحمد الله تعالى أن صان القرآن وحفظه من التبديل والتغيير ، مصداقا لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ».

٤ — وبعلم التوحيد يعرف الانسان ملائكة الله النورانيين ، الذين قد خلقهم لعبادته ، ولحفظ نواميس الكون . ومنهم من هو موكل بالانسان ليكتب أعماله ، ويحفظه من أمر الله . واذا عرف الانسان أن الملائكة تحصى عليه أعماله ، فانه سيستحى من عمل السوء ، اذا خلا بنفسه . وهذا يحمله على البعد عن السوء ، سرا وعلانية .

٥ — وبعلم التوحيد يستيقن الانسان من أنه سيبعث من بعد الموت ، وسيحاسبه الله على كل أعماله . ذلك لأن البعث من بعد الموت ، قد نبه الله على امكانه ووقوعه على لسان أنبياء الله ورسله . وفى علم التوحيد الادلة السمعية والعقلية . على امكانه ووقوعه . ولو وضحت الأدلة وازداد اليقين ، يخشى المرء ربه ، ويقبل على الخير والطاعة .

٦ — وبعلم التوحيد لا يخاف الانسان على حياته ، اذا استشهد فى سبيل ، اعلاء كلمة الله . لأن فى هذا العلم دلائل كثيرة على أن للشهداء الجنة .

٧ — وبعلم التوحيد يقدر الانسان على دعوة غيره من أهل الأديان والملحدين على الدخول فى دين الاسلام ، اذ بعلم التوحيد يقدر على بيان الكلام ، واقامة الدليل عليه ، ومجادلة الخصم بالحجج القوية والبراهين الساطعة .

النظر فى مخلوقات الله

وقد لفت الله تعالى أنظار الناس الى أن ينظروا فى عجائب كل مخلوق قد خلقه الله ، ليعرفوا من دقة الصنع والاتقان والخلق ، على أن أى كائن فى العالم لم يخلق نفسه ، ثم ليبحثوا عن الصانع الذى اتقن كل شىء . ولسوف يهتدون بعقولهم : الى ان خالق العالم هو الله رب العالمين .

وقد دل العقل السليم على أن الله هو الخالق وحده . اذ لكل صنعة صانع ، ولكل أثر مؤثر ، ولكل بنـاء بان . كما قال عربى فى الدلالة على وجود الله : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير . وأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر . ألا يدل ذلك كله على السميع البصير ، اللطيف الخبير .

وقد لفت الله أنظار الناس الى معرفته فى أكثر من آية . منها قوله تعالى : « فانظر الى آثار رحمة الله . كيف يحيى الأرض بعد موتها » ؟ وقوله : « قل : انظروا ماذا فى السموات والأرض » ؟ وقوله : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » وقوله : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت » .

ومعنى كيف خلقت ؟ أى خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر ، حالة كونه شاهدا بتدبير مدبر . حيث خلقها للنهوض بالأثقال ، وجرها الى البلاد الشاطحة . فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر . ثم تنهض بما حملت . وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها ، لا تعاز ضعيفا ، ولا تمانع صغيرا ، وبرأها طوال الأعناق ، لتنوء بالأوقاد . والمعنى : أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق ، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث ، فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ، ويستعدوا للقائه .

وحكى الامام فخر الدين الرازى فى كتابه المسمى بـ « المطالب العالية من العلم الالهى » كان بعض الملوك قد وقع فى قلبه شك فى وجـود الله تعالى . وكان له وزير عاقل . وكانت العادة جارية بأن ذلك الوزير كان يتخذ لذلك الملك ضـيافة فى كل سنة مرة واحدة . فأمر الوزير فى بعض المفارز الخالية بوضع الزرع والضرع فيها وباجراء المياه الجارية ، وبناء البساتين الطيبة ، ووضع القصور العالية ثم حضر السلطان فى تلك المواضع . فتعجب السلطان وقال للوزير : كيف عمرت هذه المواضع ؟ فقال الوزير : أطال الله بقاء السلطان ، انى ما عمرتها ، ولكنها كانت خرابا قفرا الى هـذه الأيام القريبة . ثم أنا لمـا عدنا وجدنا هذه الأشياء ، حدثت من تلقاء نفسها من غير بان ولا مصلح . فاشتد غضب السلطان . وقال : كيف يليق بمثلك أن يهزأ بى ؟ فقال : أطال الله بقاء السلطان اذا كان حدوث هـذا القدر من العمارة بلا معمار ولا مصلح ، ممتنعا ، فحـدوث العالم الأعلى والأسـفل مع كثرة ما فيهما من العجـائب والغرائب ، بلا موجـد ولا مدبر ، أولى بالامتنـاع . فانتبـه السلطان من هـذا الـكلام ، وعـاد الى الدين الحـق(١) .

اقســام الحـكم العقـلى

قال النـاظم :

اقسام حكم العقل لا محالة	هى الوجوب ثم الاسـتحالة
ثم الجـواز ثالث الأقسـام	فافهم . منحت لذة الافهـام

الشرح والبيـان :

اذا قلنا : الله موجود . فقولنا هذا يحتاج الى دليل . والدليل امـا أن يكون من النقل أى من القرآن الكريم ، واما أن يكون من العقل . بأن

---

(١) ص ٢٤٦ جـ ١ المطالب العالية من العلم الالهى ــ نشر مكتبـة الكليات الأزهرية بالقاهرة ــ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .

وفى هـذا الكتاب المكون من ٩ أجـزاء دلائل كثيرة من مثـل هـذه الحـكاية .

يقال : دل العقل على ان هذا الكرسي — مثلا — لم يصنع نفسه . ودل العقل أن له صانعا . سواء كان حيا او كان ميتا ، وسواء رآه المشاهد أم لم يره . فالعقل له اعتبار في التدليل على الاشياء .

والحكم العقلي هو : اثبات امر لأمر ، او نفي امر عن امر ، من غير توقف على تجربة ولا استناد الى شرع . والمعنى : اننا نعلم بالعقل : ان الأب متقدم على الابن في الوجود . فاذا قلنا : الأب اكبر من الابن . فان قولنا هذا لا يحتاج الى دليل من الشرع . لانه معلوم ببداهة العقول . ولأنه غير متوقف على تجربة . واذا اكل الثوم اكثر من واحد يشكون من وجع الأسنان ، وخف وجعهم ، علمنا بالتجربة : ان اكل الثوم مفيد في ازالة آلام الأسنان .

والحكم العقلي ينقسم الى ثلاثة اقسام : ١ — وجوب ٢ — واستحالة ٣ — وجواز .

١ — **فالواجب العقلي معناه :** عدم قبول الانتفاء أصلا لذاته . فقدرة الله واجب ثبوتها لله بالعقل ، لأن آثاره في العالم تدل على انه قادر . فهو الذي ينجي المؤمنين ويهلك الظالمين . والعقل يدل على أن القادر لا يمكن أن يكون عاجزا ، فالصفة التي تجب لله بالعقل ، لا تنتفي عن الله بالعقل . فمعنى وجوب القدرة لله هو عدم قبولها الانتفاء أصلا .

٢ — **والمستحيل العقلي ، معناه :** عدم قبول الثبوت اصلا لذاته . فالعجز يستحيل اسناده الى الله تعالى . لوضوح الدلائل على قدرته . واستمرار القدرة ، يمنع من ثبوت العجز ، فاستحالة العجز هو عدم قبول العجز للثبوت أصلا .

٣ — **والجائز العقلي :** هو الذي يقبل الثبوت او يقبل العدم .

فالعصا قد تنقلب الى ثعبان ، وقد تبقى على حالها . **فانقلاب العصى جائز في العقل ومعنى انه جائز في العقل : انه يقبل الثبوت تارة ،**

والانتفاء تارة أخرى وقد خلق الله العالم على سنن كونية ثابتة لا تتغير الى يوم القيامة . فالصيف لا يكون مكان الشتاء ، والشتاء لا يكون الصيف . وقد يغير الله السنن ، في حالة الاستدلال على نبوة نبى من الأنبياء . معجزة له . كما جعل في البحر طريقا يبسا لموسى وبنى اسرائيل . وكما جعل العصا — وهو جماد — تنقلب ثعبانا من لحم ودم أمام فرعون وقومه .

قال النـــاظم :

فالواجب العقلى ما لم يقبلْ	الانتفـــا . فى ذاته . فابتهلْ
والمســـتحيل كل ما لم يقبلْ	فى ذاته الثبوت . ضد الأولْ
وكل أمـــر قابل للانتفـــا	وللثبوت . جائز بلا خفـــا

الشرح والبيـــان :

لو قلنا : ان الأب أكبر من الابن . فهذا حكم يثبت ببدائه العقول . اى بدون نظر واستدلال . ويسمى بالواجب بالعقل ضرورة .

فالواجب العقلى الضرورى : هو ما لا يتوقف ادراك وجوبه على نظر واستدلال .

واذا قلنا : الله موجود . فهـــذا لا يثبت ببـــدائه العقول . بدليل ان الملحدين ينكرونه . ولو كان وجود الله يدرك ضرورة ، لمـــا اختلف الناس فيه بين مثبت ومنكر . وانهم لا يختلفون فى مثل ان الواحد نصف الاثنين . لانه يوجد فرق بين الواجب بالعقل ضرورة والواجب بالنظر .

فالواجب العقلى النظرى : هو ما يتوقف ادراك وجوبه على نظـــر واستدلال . كوجود الله تعالى وقدرته وعلمه . وسائر صـــفاته . وقـــد ارشدنا الله تعالى فى القرآن الى أن ننظر فى السموات والأرض ، لنعـــلم من اتقانهما واحكامهما : أن خالقا خلقهما . والا يكون هو الا الله وحده .

والمستحيل العقلى : هو المعدوم الذى لا تقبل ذاته الثبوت أصـــلا . كزيادة سن الابن على سن أبيه . فهذا مستحيل بالعقل .

ولا يحتاج أحد فى أثبات أستحالته الى دليل . ومثله اجتماع الحركة والسكون فى محل واحد أو السواد والبياض فى شىء واحد .

فالمستحيل الضرورى : هو ما لا يتوقف ادراك استحالته على نظر واستدلال . ككون الجزء الأكبر من الكل وزيادة سن الابن على سن أبيه .

والجهل المستحيل نسبته الى الله تعالى لأننا لا ندركه ببدائه عقولنا ، ننفيه بدليل من نظر أو استدلال .

فالمستحيل النظرى : هو ما يتوقف أدراك استحالته على نظر واستدلال . كاستحالة الكذب على الأنبياء . فان الاستحالة لا تعلم الا بدليل .

والجائز العقلى : هو الذى تقبل ذاته الثبوت تارة ، والانتفاء تارة أخرى . ومثاله : هبوب الرياح وهطول الأمطار . فان الله تعالى أوجدهما فى العالم ، ودلت المشاهدة على وقوعها . فلا يحتاج المرء فى ادراكهما الى دليل . من نظر واستدلال . وكذلك الصحة والمرض ، والغنى والفقر . كل ذلك جائز أن يكون أو الا يكون . وجواز وقوعه لا يحتاج الى دليل .

فالجائز الضرورى : ما لا يتوقف ادراك جوازه على نظر واستدلال ، كتغير الأجواء بالبرودة والحرارة .

والجائز النظرى : هو ما يتوقف ادراك جوازه على نظر واستدلال . كاثابة المطيع وتعذيب العاصى . فاننا اذا عكسنا وقلنا : تعذيب المطيع واثابة العاصى . والعكس جائز ، فاننا نحتاج الى دليل نظرى على الجواز .

أسـئلة

١ ـ ما اسم العلم الذى يبحث فيه عن الله وصفاته ؟

٢ ـ ما هى الفوائد التى تعود على المسلم من دراسته لعلم التوحيد ؟ وما معنى النظر فى الكون ؟

٣ ـ ما هو الفرق بين الدليل النقلى والدليل العقلى ؟

٤ ـ اذكر دليلا عقليا على وجود الله تعالى .

٥ ـ ما هو الحكم العقلى ؟

٦ ـ ما هو الفرق بين الحكم العقلى الثابت ببداثه العقول ، والحكم العقلى الثابت بالتجربة والمشاهدة ؟

٧ ـ اذكر أقسام الحكم العقلى . وعرف كل قسم . ومثل له .

٨ ـ اذكر مثالا للواجب العقلى الضرورى .

٩ ـ اذكر مثالا للواجب العقلى النظرى .

١٠ ـ اذكر مثالا للمستحيل العقلى الضرورى .

١١ ـ اذكر مثالا للمستحيل العقلى النظرى .

١٢ ـ اذكر مثالا للجائز العقلى الضرورى .

١٣ ـ اذكر مثالا للجائز العقلى النظرى .

١٤ ـ عرف الواجب العقلى الضرورى .

١٥ ـ عرف الواجب العقلى النظرى .

١٦ ـ عرف المستحيل العقلى الضرورى .

١٧ ـ عرف المستحيل العقلى النظرى .

١٨ ـ عرف الجائز العقلى الضرورى .

١٩ ـ عرف الجائز العقلى النظرى .

الالهيـــات

قال النـــاظم :

فاعلم : بأن الوصف بالوجود   من واجبات الواحـــد المعبود
اذ ظـــاهر : بأن كل اثـــر   يهـــدى الى مؤثـــر . فاعتبر
وذى تســـمى صـــفة نفسية   ثم تليهـــا خمســـة ســـلبية
وهى القدم بالذات ، فاعلم والبقـــا
قيـــامه بنفســـــه . نلت التقى
مخـــالف للغير ، وحـــدانية   فى الذات او صفاته العلية

الشرح والبيـــان :

هذا العالم المحسوس الذى نراه ونعيش فيه ، قد خلقه خالق هو الله وحده . ولا شريك له فى الملك . والله له صفات حسنى تليق بذاته المقدسة . ومن صفاته : الوجود ، والقدم ، والبقاء ، وقيامه بنفسه ، ومخـــالفته للغير . وصفات الله تعالى غير ذاته . وقديمة قدم ذاته . ولا يلزم من تعددها تعدد الآلهة الكثيرة . فان الصفات زائدة على الذات ، وغير منفكة عنها .

وكل صـــفة تقوم بالله تعالى ، هو يقـــدر بها على كل شىء . فاذا قلنا : ان الله قادر . ومريد . فقدرته تدل على القدرة والارادة . وارادته لا تدل على الارادة فقط ، بل تدل على الارادة والقدرة . وهكذا فى ســـائر الصـــفات .

والحديث فى الله وصـــفاته ، يسمى بالالهيات . اى الموضـــوعات والمسائل التى تتعلق بذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل فى حقه ، وما يجوز .

الواجب لله تعالى :

يجب على المـــرء أن يعتقـــد فى الله تعالى : أن كل كمال يليق بذاته المقدســـة ، يجب أن ينسب اليـــه ويضاف اليـــه . ويجب عليـــه أن يعتقد أن كمالات الله لا حصر لها ولا عدد لها . لأنها لا تتناهى ولا يحيط بها علم البشر .

والدليل العقلى على أن كل كمال يليق بذاته المقدسة هو واجب له : ان الله تعالى لو لم يجب له كل كمال يليق بذاته المقدسة ، لجاز أن يتصف بشىء من النقائض . ولو جاز اتصافه بشىء منها ، لكان عاجزا عن دفـــع النقائص عنه . واذا ثبت عجزه ، لا يكون الها للعالم . لكن قد ثبتت الوهيته ، وثبتت قدرته بالدلائل العقلية والنقلية ، فبطل أنه عاجز . وبطل جواز اتصافه بشىء من النقائص . وثبت له كل كمال يليق بذاته المقدسة .

والدليل النقلى على أن كل كمال يليق بذاته المقدسة ، هو واجب لله تعالى : قوله تعالى : « ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير » وقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » أى شبيها ومثلا . وقوله تعالى : « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة . هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو . الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور . له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض . وهو العزيز الحكيم » .

والقدوس : البليغ فى النزاهة ، عما يستقبح . ونظيره : السبوح . وفى تسبيح الملائكة : « سبوح . قدوس . رب الملائكة والروح » .

اطـــلاق الصـــفة :

تطلق الصفة على معنيين : المعنى الأول : هو المعنى الوجودى القائم بالذات الموصوفة ، كالقدرة والارادة . فهما غير الذات وقائمتان بالذات من غير انفـــكاك . والمعنى الثانى : ما ليس بذات . فصفة العـــلم شىء

والذات شيء . أي أن الصفة غير الذات . لقوله تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك . أنزله بعلمه(١) . والملائكة يشهدون . وكفى بالله شهيدا » فدلت الآية على ان الله تعالى علما . وذلك لأن الآية تدل على اثبات علم لله تعالى . ولو كان علمه نفس ذاته . للزم اضافة الشيء الى نفسه . وهو محال .

والصفة التى ليست بذات . اما أن تكون صفة وجودية كالعلم أو صفة عدمية كعدم حدوث البارى ، المفهوم من اثبات صفة القدم له .

الصفات الواجبة لله تعالى :

والصفات الواجبة لله تعالى تفصيلا **على مذهب الامام الأشعرى** هى ثلاث عشرة صفة :

١ — الوجود ٢ — والقدم ٣ — والبقاء ٤ — والمخالفة للحوادث ٥ — والقيام بالنفس ٦ — والوحدانية ٧ — والقدرة ٨ — والارادة ٩ — والعلم ١٠ — والحياة ١١ — والسمع ١٢ — والبصر ١٣ — والكلام النفسى .

وصفات : ١ — القدرة ٢ — والارادة ٣ — والعلم ٤ — والحياة ٥ — والسمع ٦ — والبصر ٧ — والكلام النفسى . تسمى بصفات المعانى .

وزاد الامام فخر الدين الرازى وغيره من اتباع الامام الأشعرى على صفات المعانى سبع صفات تسمى بالصفات المعنوية . وهى : كونه

---

(١) وفى تفسير الامام فخر الدين الرازى رأى آخر وهو أن المراد من قوله أنزله بعلمه وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال . وهذا مثل ما يقال فى الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم ، اذا صنف كتابا واستقصى فى تحريره : انه انما صنف هذا بكمال علمه وفضله .

وقال المعتزلة : ان الله يقول : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » فدل هذا على أن علمه ليس غير ذاته .

قادرا ، وكونه مريداً ، وكونه عالمـــا ، وكونه حيا ، وكونه سمعيا ، وكونه بصيرا ، وكونه متكلما(١) .

فالصفات الواجبة لله تعالى عشرون صفة على راى جميع الاشاعرة .

وصفة الوجود تسمى صفة نفسية ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس والوحدانية تسمى صفات سلبية . لأنهـا تسلب عن الله صفات لا تليق به . فالقدم يســلب الحدوث وينفيه . والبقاء يسلب الفناء وينفيه . وهكذا .

والكلام النفسى معناه : ان الله يتكلم بلا حروف وأصوات . ومثـل ذلك ــ ولله المثل الأعلى ــ مثل ما يكون فى نفس الانسان من كلام يهيئـه وينظمه . لكن لم يتكلم به بعد . فهذا يسمى بكلام النفس . ومنـه قول عمر رضى الله عنه فى يوم السقيفة : « كنت قد زورت فى نفسى كلاما » أى جال بخاطرى كلام أعددته لهـذا الموقف . وفى القرآن قوله تعالى : « ويقولون فى انفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول » ولم يتلفظوا به بعد .

الوجود ودليل ثبوته لله تعالى :

الوجود : هو صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات ، دون معنى زائـد على الذات(٢) . ومعنى دون معنى زائـد على الذات : اننـا فى قوله « أنزل بعلمـه » فسرنا صـفة العلم بأنهـا غير الذات ، وبأنها

---

(١) زادوا هذه الصفات ليقولوا : ان الله دائم الفعل اذا شاء .

(٢) علماء المعتزلة يقولون : ان صفات الله كلها ليست زائدة على ذات الله ، بل هى عين ذاته . فعلم الله فى ذاته . ووجوده وحيـاته ... الخ . ويقيسون الغائب على الشاهد باننا اذا رأينا انسانا قادرا عالمـا وموجودا . لا ندرك بالمشاهدة الا واحدا ، صفاته كامنة فيـه . ويعبرون بالغائب عن الله على معنى أنه غائب عن ادراك الحواس . ويعبرون بالشاهد عن الانسان . وقد رد عليهم الأشاعرة بقوله : « أنزله بعلمه » ولم يقل بذاته فدل على أن العلم غير الذات .

زائدة على الذات ، ومع زيادتها لا تكون منفكة عنها . ولكن صفة الوجود ليست زائدة ، بل هى نفس الذات ، لأن الوجود وصف لذات الله المتحققة الثابتة . **وقولنا : الله قادر . فان لفظ قادر وقع وصفا لله تعالى وهو يدل على ذات الله تعالى ، وعلى معنى زائد عليها قائم بها هو القدرة .**

والدليل على أن الله موجود . هو غير الدليل على نسبة صفة الوجود لله .

الدليل على وجود الله

أولا — والدليل على ان الله موجود . اما أن يكون بالعقل ، واما أن يكون بالنقل .

١ — فالدليل العقلى على وجود الله تعالى : هو أن العالم حادث ، وكل حادث فلابد له من محدث . فهذا العالم له محدث . وهذا المحدث هو الله تعالى . والكائنات فى العالم كالنجوم والقمر والشمس هى ، كائنات تدور فى العالم بدون ارادة منها ولا اختيار . فلا يمكن أن تكون خالقة — كما كان يعتقد فيها بعض القدماء — اذ لا عقل لها ، تدبر به أمر نفسها ، فضلا عن تدبير أمر غيرها .

وأفول الكواكب يدل على حدوثها . وحدوثها يدل على افتقارها فى وجودها الى القادر المختار . فيكون ذلك الفاعل هو الخالق للافلاك والكواكب . ومن كان قادرا على خلق الكواكب والأفلاك من دون واسطة . أى شىء كان . فبأن يكون قادرا على خلق الانسان أولى . لأن القادر على خلق الشىء الأعظم ، لابد وأن يكون قادرا على خلق الشىء الأضعف . واليه الاشارة بقوله تعالى : « لخلق السموات والأرض ، أكبر من خلق الناس » .

٢ ــ والدليل النقلى على وجود الله تعالى : قوله تعالى « ذلكم الله ربكم . لا اله الا هو . خالق كل شيء . فاعبدوه . وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » فانه تعالى ــ قبل هذه الآية ــ لما اقام الحجة على وجود الاله القادر المختار الحكيم الرحيم ، وبين فساد قول من ذهب الى الاشراك بالله ، وفصل مذاهبهم على احسن الوجوه ، وبين فساد كل واحد منها بالدلائل اللائقة به ، ثم حكى مذهب من اثبت لله البنين والبنات ، وبين بالدلائل القاطعة فساد القول بها . فعند هذا ثبت : ان اله العالم فرد واحد ، صمد ، منزه عن الشريك والنظير والضد والند ، ومنزه عن الأولاد والبنين والبنات . فعند هذا صرح بالنتيجة ، فقال : « ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق » كل ما سواه « فاعبدوه » ولا تعبدوا غيره احدا . فانه هو المصلح لمهمات جميع العباد ، وهو الذى يسمع دعاءهم ، ويرى ذلهم وخضوعهم ، ويعلم حاجتهم . وهو الوكيل لكل احد على حصول مهماته .

الدليل على صفة الوجود لله

ثانيا ــ والدليل على اثبات صفة الوجود لله تعالى . اما أن يكون بالعقل ، واما أن يكون بالنقل .

١ ــ فالدليل على اثبات صفة الوجود لله تعالى : ان الله قد ثبت له الوجود ، وثبت ان العالم محتاج اليه فى وجوده فى تدبير شئونه . ومن ثبت وجوده وثبت احتياج العالم اليه ، فانه لا يكون من جملة العالم ، بل منفصل عن العالم . ويكون وجوده لذاته . ومن كان وجوده لذاته ، فانه يجب له الوجود . فالله تعالى يجب له الوجود .

٢ ــ والدليل النقلى على اثبات صفة الوجود لله تعالى : قوله تعالى : « ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » أى دائم وجوده : وهو مع المتقين والمحسنين بالعون والنصر والتأييد .

الصفات السلبية

الصفات السلبية . وهي : التي تسلب عن الله تعالى امرا لا يليق بذاته المقدسة :

خمس صفات ، هن : ١ — القدم ٢ — والبقاء ٣ — والمخالفة للحوادث ٤ — والقيام بالنفس ٥ — والوحدانية .

١ — القـــدم

معنى القدم : هو عدم أولية الوجود . فالله كان أولا ولم يكن شيء معه ، ثم خلق السموات والأرض . فوجود الله تعالى لم يسبق بعـــدم ، لأنه الأول الذى لم يكن قبل شيء ، ولم يكن قبله أول .

والدليل العقلى على وجـــوب القـــدم لله تعـــالى : ان الله تعـــالى : قد ثبت له وجوب الوجود ، ومن ثبت له وجوب الوجود ، فقد ثبت له وجوب القدم ، واستحال عليه الحدوث .

والدليل النقلى على وجوب القدم لله تعالى : قوله تعالى : « هو الأول والآخر . والظاهر والباطن » والمعنى : هو القديم الذى كان قبل كل شيء ، والظاهر بالأدلة الدالة عليه . والباطن لكونه غير مدرك بالحواس .

٢ — البقـــاء

معنى البقاء لله تعالى : هو عدم آخرية الوجود . فوجود الله تعالى لا آخر له ، فلا يلحقه عدم .

والدليل العقلى على وجوب البقاء لله تعالى : انه قد ثبت له وجوب الوجود والقدم . ومن ثبت له وجوب الوجود والقدم ، ثبت له وجوب البقاء ، واستحال عليه الفناء .

والدليل النقلى على وجوب البقاء لله تعالى : قوله تعالى : « كل من عليها فان . ويبقى وجـــه ربك ذو الجـــلال والاكرام » اى كل من على الأرض سيفنى . ومعنى « ويبقى وجـــه ربك » المراد بالوجـــه : ذات الله

كلها ، لا الوجه وحده . فالوجه يعبر به عن الذات والجملة . ففى اللغـة العربية يجوز أن يقول المسكين : اين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان ؟ وهو لا يريد الوجه منفصلا عن الجسد . بل يريد رجـلا ذا مروءة . ومعنى « ذو الجلال والاكرام » أى الذى يجـله الموحدون عن التشبيه بخلقـه ، ويعظمه الموحدون عن تشبيه افعالهم بأفعاله .

٣ ــ المخـالفة للحـوادث

معنى مخالفته تعالى للحوادث : هو عدم مماثلته تعالى للحوادث فى الذات وفى الصفات . فذات الله القديمة ليست كذات المخلوقات الحادثة ، ولا صفات الله كصفات المخلوقين . فالله لا جسم له ، ولا مكان له . وليست ذاته مركبة من أجـزاء . فلا يد له ولا رجل له . ولا يوصف بأنه ينزل ويصعد ويجىء ويذهب . ولا يقال : انه مستو بجسمه على العرش بمعنى مستقر عليه . ولا يقال : انه فوق ، بجسمه . لأن الذات المركبة والجلوس والذهاب والمجىء . كل ذلك من صفات الحوادث الجسمية . والله منزه عن الجسمية والشكل واللون .

تأويل الألفـاظ

واعلم : **ان اللغة العربية فيها حقيقة وفيها مجاز** . فى الالفاظ الدالة على المعانى . فلفظ « الأسد » على الحقيقة يدل على الحيوان المفترس . وسائغ فى اللغة ان تقول : رأيت أسدا فى منزلنا . تدل بالأسد على رجل شجاع . فلفظ الأسد على الرجل الشجاع يسمى بالمجاز . لأنك تجوزت به من معناه الحقيقى الى معنى غيره ، له علاقة المشابهة به . وفى القرآن الكريم ــ لأنه بلسان عربى مبين ــ الفاظ على الحقيقة والفاظ على المجاز . فلفظ فوق يدل حقيقة على جسم هو أعلى من جسم . ويدل مجـازا على الفوقية بمعنى الغلبة والقهر . كما قال الله تعالى حكاية عن فرعون أنه قال عن بنى اسرائيل : « وانا فوقهم قاهرون » وهو لا يعنى أن جسمه موضوع على أجسامهم ، بل يعنى أنه غالبهم وقاهرهم .

والمجاز فى اللغة يطلق عليه لفظ التأويل .

واعلم : **ان فى القرآن محكم ومتشابه** . فالمحكم : هو الذى يدل على معنى واحد على الحقيقة ، ولا يأتى على المجاز . والمتشابه : هو الذى يدل على معنيين أحدهما على الحقيقة ، وثانيهما على المجاز .

ومثال المحكم قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » فانه ينفى المثل والشبه عن الله عز وجل . ومثال المتشابه : قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فاليد على الحقيقة بمعنى اليد الجسمية الجارحة ، واليد على المجاز بمعنى القدرة . ولهذا صار النص متشابها . والمتفق مع المحكم هو اليد بمعنى القدرة . فيكون هو مراد الله تعالى(١) .

وعلى ما قدمنا : فانه اذا ورد نص فى القرآن ، يوهم ظاهره أن الله جسم ، فانه — لعدم مماثلة الله للحوادث — يجب صرفه عن ظاهره وتأويله تأويلا حسنا . فقوله تعالى : « تجرى بأعيننا » يوهم ظاهره أن سفينة نوح عليه السلام قد جرت بعيون الله . وهذا مستحيل عقلا ، لأنه يدل على أن الذات قد خلت من العينين .

ولصرف هذا المعنى المستحيل عن الله ، يجب تأويل « تجرى بأعيننا » بأنها جرت بعنايتنا ورعايتنا .

وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » يوهم ظاهره أن الله جالس على الكرسى فى السماء . وهذا الظاهر غير مراد ، لأنه يستلزم منه خلو الأرض من الله . والحال أنه قد ثبت من القرآن : ان الله فى السماء وفى الأرض . لقوله : « وهو الله فى السموات وفى الأرض . يعلم سركم

---

(١) فى كتب التفسير : « يد الله فوق أيديهم » يريد : أن يد رسول الله التى تعلو ايدى المبايعين ، هى يد الله . والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام . وانما المعنى : تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول ، كعقده مع الله ، من غير تفاوت بينهما . كقوله تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » أ.هـ

وجهركم ويعلم ما تكسبون » أى فيهما بعلمه وتدبيره . والمراد بالاستواء : الدلالة على أن الله وحده هو المـــالك للعالم . وقد عبر بالاستواء ، كما عبر عن نفسه بالاستحياء وبالمكر وبالغضب . ليقرب ذاته الى عقول النـــاس بحسب ما يألفون فى التعبير عن أنفسهم . على ما يقال خاطب الناس على قدر عقولهم .

وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا . صفا » يؤول على مجىء أمره ، أو مجىء ملك من ملائكته . أو يؤول على التمثيل . ففى بعض التفسير : « فان قلت : ما معنى اسناد المجىء الى الله . والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان فى جهة ؟ قلت : هو تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبين آثار قهره وسلطانه . مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ، ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم » أ . هـ

والدليل العقلى على وجوب مخالفة الله تعالى للحوادث : انه تعالى اذا لم يكن مخالفا للحوادث فى ذاته وصفاته ، لكان تعالى مـــاثلا لها . واذا ماثلها ، يكون حادثا مثلما هى حادثة . وكونه تعالى حادث ، باطل . لثبوت قدمه بالدليل العقلى والنقلى .

والدليل النقلى على وجوب مخالفة الله تعالى للحوادث : « ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير » وقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » أى مثلا . وقوله : « هل تعلم له سميا ؟ » أى مثلا . ومعنى « ليس كمثله شىء » هو مثل قولك لآخر : مثلك لا يبخل . فنفيك البخل عن مثله ، معناه نفيه عن ذاته . وعبر بالنفى عن الغير ، وهو يريد النفى عن المخاطب وحده ، قصدا للمبـــالغة فى التعبير ، وتحسين الأسلوب .

٤ ــ القيام بالنفس

معنى قيامه تعالى بنفســـه : عدم احتيـــاجه تعالى الى ذات يقـــوم

بها ، أو الى موجد يوجده . وهذه الصفة تدل على أن الله ليس صفة بدون ذات . وتدل على أن الله ليس بحادث .

والدليل العقلى على قيام الله بنفسه ، هو مكون من دليلين :

الدليل الأول : يدل على بطلان كونه صفة . والدليل الثانى : يدل على بطلان كونه تعالى حادثا . وذلك لأنه تعالى لو لم يكن قائما بنفسه ، لكان محتاجا الى ذات يقوم بها فيكون صفة ، أو الى موجد فيكون حادثا . وكونه تعالى صفة أو حادثا : باطل .

والدليل على بطلان كونه تعالى صفة : أنه تعالى لو كان صفة ، لما اتصف بالصفات الثبوتية ، كالعلم والقدرة . لأن الصفات الثبوتية قائمة بذات . لأن الصفة لا تتصف بالصفة ، بل تتصف بذات . فلا يقال : القدرة متصفة بالعلم أو بالارادة أو بالقدرة . وحيث ثبت اتصاف الله تعالى بالصفات الثبوتية ، فانه يبطل كونه تعالى صفة مجردة عن الذات .

والدليل على بطلان كونه تعالى حادثا : أنه قد ثبت له وجوب الوجود والقدم والبقاء ، ومن تثبت له هذه الصفات ، يبطل كونه تعالى حادثا . واذا ثبت أنه غير حادث وغير محتاج ، يثبت أنه قائم بنفسه .

والدليل النقلى على قيام الله بنفسه : قوله تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله . والله هو الغنى الحميد » ووجه الدليل من الآية : أن الله غنى عمن سواه ، ولو كان محتاجا الى ذات يقوم منها أو الى موجد يوجده ، لما كان تعالى غنيا عن العالمين .

٥ ــ الوحدانية

الوحدانية : معناها : عدم التعدد فى الذات وفى الصفات وفى الأفعال .

(أ) اما أن الله واحد فى ذاته . فمعناه : ١ ــ أن ذات الله ليست مركبة من أجزاء . لأن ذاته لو تركبت من أجزاء هى يد ورجل ووجه وما شابه

ذلك من سائر الاعضاء ، لكانت ذاته تعالى محتاجة فى تحققها الى مجموع اجزائها . والمحتاج حادث . والحدوث مستحيل على الله ، فتركب ذاته من اجزاء محال عليه . ٢ — ولا توجد ذات تشبه ذات الله تعالى .

(ب) واما ان الله واحد فى صفاته . فمعناه : ١ — انه ليس لله تعالى صفتان او اكثر من نوع واحد ، كقدرتين وعلمين وارادتين . لأن ما زاد على صفة واحدة من كل نوع ، لا فائدة فيه . اذ من لوازم صفات الله أن تكون كل صفة كاملة ومستقلة . واتصافه تعالى بما لا فائدة فيه عبث ، والعبث مستحيل على الله تعالى . فاتصافه بما زاد على صفة واحدة من كل نوع : محال . ٢ — وليس لغير الله تعالى صفات تشبه صفاته . اذ لو كان لغير الله صفات تشبه صفاته ، لكان ذلك الغير الها ، وتتعدد الآلهة . وقد قام الدليل على استحالة التعدد . وهو : « قل : هو الله أحد » وقوله : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

(ت) وأما ان الله واحد فى افعاله : فمعناه : ١ — أن جميع الكائنات مخلوقة بقدرة الله وحدها ، فلا شريك له فيها . ٢ — وليس لغيره تعالى فعل من الافعال . اذ لو كان لغير الله تعالى فعل ، لما كانت جميع الكائنات مستندة الى قدرة الله وحدها . وقد ثبت بالدليل استناد جميع الكائنات الى قدرة الله وحدها . لقوله تعالى : « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء . فاعبدوه » .

والدليل العقلى على اثبات الوحدانية لله تعالى : هو انه لو وجدت ذات ، غير الله تعالى متصفة بصفات الالوهية ، لكان فى العالم الهان . ولو كان فى العالم الهان ، لأمكن الخلاف بينهما فى الخلق والتدبير . اذ ربما يريد أحدهما خلق شيء ويريد الآخر عدم خلقه . وفى هذه الحالة ١ — اما أن ينفذ مراديهما معا ٢ — واما أن لا ينفذ مراديهما معا ٣ — واما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر .

ونفوذ مراديهما معا هو باطل . لأن خلق الشيء وعدم خلقه هما أمران ضدان . والضدان لا يجتمعان و يكونان . واذا لم ينفذ مراديهما معا ، يكونان عاجزين عن الخلق ، فلا يكون أي واحد منهما مستحقا للألوهية . ولا تكون هذه المخلوقات موجودة . ووجودها ثابت بالمشاهدة . ويدل على خالق واحد . وان نفذ مراد أحدهما ولم ينفذ مراد الثاني . كان نافذ مراده هو الاله . فبطل تعدد الآلهة ، وثبت الخلق لاله واحد .

والدليل النقلي على اثبات الوحدانية لله تعالى : قوله تعالى : « قل : هو الله أحد » وقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله ، لفسدتا » وقوله تعالى : « وما كان معه من اله . اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون » .

◼

أسئلة

١ ــ هل صفات الله عين ذاته ، أم غير ذاته ؟
٢ ــ ما معنى قوله تعالى : « أنزله بعلمه » ؟
٣ ــ ما الواجب لله تعالى اجمالا ؟
٤ ــ اذكر الدليل العقلى والنقلى على أنه يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة .
٥ ــ ما معنى اطلاق الصفة ؟
٦ ــ ما عدد الصفات الواجبة لله تعالى تفصيلا على رأى الأشعرى ؟
٧ ــ ما عدد الصفات الواجبة لله تعالى تفصيلا على رأى الأشعرية ؟
٨ ــ ما معنى أن الله موجود ؟ وما هو الدليل العقلى والنقلى على أن الله موجود ؟
٩ ــ ما معنى صفة الوجود ؟ وما هو الدليل العقلى والنقلى على اثبات صفة الوجود لله تعالى .
١٠ ــ ما عدد الصفات السلبية ؟
١١ ــ افرق بين الصفة النفسية والصفة السلبية .
١٢ ــ ما عدد الصفات النفسية ؟
١٣ ــ ما معنى القدم ؟ وما هو الدليل العقلى والنقلى على اثبات صفة القدم لله تعالى ؟
١٤ ــ اشرح قوله الله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »
١٥ ــ ما معنى مخالفة الله للحوادث ؟ وما هو الدليل العقلى والنقلى على أن الله ليس كمثله شىء ؟
١٦ ــ ما معنى التأويل فى مسمى الشرع ؟
١٧ ــ ما هو المحكم ؟ وما هو المتشابه ؟
١٨ ــ ما معنى قيام الله بنفسه ؟ وما هو الدليل العقلى على قيام الله بنفسه ؟
١٩ ــ ما معنى أن الله واحد ؟ وما هو الدليل العقلى والنقلى على أن الله واحد .

الايمـــان والاســـلام

تمهيــــد :

أولا : اللفظ فى أصل وضعه ، يدل على شىء ، ليميز هذا الشىء عن غيره . فالحيوانات المفترسة ــ مثلا ــ كل حيوان يتميز عن غيره بشــكله الخاص به . وعلماء اللغة وضعوا لكل حيوان اسما يخصه ، فقــالوا : اسد ــ ذئب ــ ضبع . وهكذا . ومن الممكن نقل اللفظ من أصل الوضع الى شىء آخر مشابه له . وفى حالة نقله يكون اللفظ مجــازا لا حقيقة . ففى قولنا : رأيت أسدا فى منزلنا ، تجد أن لفظ « الأسد » منقول من أصل وضعه الى رجل شجاع . مجازا لا حقيقة .

ولفظ « الصلاة » فى أصل وضعه على الحقيقة ، يدل على الدعاء . لقوله تعالى : « وصل عليهم . ان صلاتك سكن لهم » اى ادع لهم بالبركة . والفقهاء أخذوا لفظ الصلاة من أصل الوضع . **واستعملوه مجازا** فى الدلالة على الهيئات والحركات والأقوال والأفعال فى صلاة الفرض او صلاة السنة . فصار لفظ الصلاة فى مسمى الشرع لدى الفقهاء ، لا يطلق على الدعاء ، بل يطلق على الصلاة المعروفة .

ولفظ « الايمان » فى أصل وضعه على الحقيقة يدل على التصــديق بالقلب لشىء ما . لقوله تعالى : « وما أنت بمؤمن لنا » أى بمصدق لكلامنا . وعلماء الكلام أخذوا لفظ « الايمان » من أصل الوضع . **واستعملوه مجازا** فى الدلالة على الملتزم بالدين كله ١ ــ الملتزم بالعقــائد والتشريعات ٢ ــ والعامل بالدين ، الذى لا يترك فرضا ولا سنة .

ولفظ « الاسلام » فى أصل وضعه على الحقيقة يدل على المستسلم الخاضع لأوامر وأحكام من هو أقوى منه ، كما يستسلم الجنــدى لأوامر

آسره . ومنه قوله تعالى : « اسلمت وجهى لله » أى خضعت لأحكامه .
وعلماء الكلام اخذوا لفظ « الاسلام » من اصل الوضع . **واستعملوه مجازا** فى الدلالة على الملتزم بالدين كله ١ — الملتزم بالعقائد والتشريعات ٢ — والعامل بالدين ، الذى لا يترك فرضا ولا سنة .

وعلى المعنى اللغوى والمجازى للاسلام ، تجد ان كل نبى دعا قومه الى الاسلام ، على معنى ان يؤمنوا بالله ويستسلموا لاوامره — التى أمرهم الله بها على لسانه — ويعملوا بها . فنوح عليه السلام قال : « وأمرت ان اكون من المسلمين » أى المستسلمين لأوامر الله التى فرضها على وعلى من يتبعنى . وموسى عليه السلام قال لقومه : « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا . ان كنتم مسلمين » فأتباع موسى كانوا مسلمين ، أى مستسلمين لله على وفق اوامره التى اظهرها لهم على لسان موسى عليه السلام وحواريو عيسى عليه السلام قالوا : « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » وابراهيم عليه السلام قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين . فلا تموتن الا وانتم مسلمون » .

وعلى المعنى اللغوى والمجازى للايمان ، تجد أن كل نبى دعا قومه الى الايمان برسالته والعمل بها . فصار الايمان والاسلام فى مسمى الشرع وفى عرف علماء الكلام يدلان على « الديانة » ككل . بركنيها ١ — الايمان ٢ — والعمل . أى التصديق القلبى بكل ما جاء به صاحب الديانة ، والعمل بكل ما فى الديانة من احكام . ويسمى مثل هذا فى اللغة العربية بالترادف . اى ترادفت الفاظ وكثرت على معنى واحد . فالبر والقمح والحنطة ، هم الفاظ لحقيقة واحدة . والأسد والغضنفر والليث ، هم الفاظ لحقيقة واحدة . وفى سورة الذاريات يقول تعالى : « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » **فقد جاء الايمان والاسلام مترادفان — على رأى — بمعنى واحد . وهو « الالتزام بالديانة » .**

والاسلام والايمان — على رأى — متغايران . مثـل قوله : « قالت الأعراب : آمنـا . قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا » فقد غاير بين الايمان والاسلام . والحق : انه ليست من مغـايرة . فالاسـلام يناسب الأعراب ، لقلة الدلائل عندهم على صحة الديانة . فهم ليسـوا كالعلماء الراسخين فى العـلم . فالتعبير بالاسلام مناسب لهم عن الديانة . فلذلك قال لهم « قولوا أسلمنا » ولم يصدق قولهم « آمنا » ولمـا أراد اخـراج المؤمنين من القرية ، لم يجد مؤمنين ، قد رسخت أدلة الديانة فى قلوبهم ، كما ترسخ فى قلوب الراسخين فى العلم ، بل وجـد مسلمين مذعنين للأمر فأخرجهم . فالاسلام والايمان لفظان مترادفان . ولفظ الايمان لا ينـاسب العامى لأنه لا يقدر على دفع الشبه كما يقدر العالم .

ثانيا : كل ديانة من الديانات تشـتمل على ركنين . **الركن الأول** : الايمان بصدق الديانة . **والركن الثانى** : العمل بالديانة . أما الايمان بصدق الديانة فهذا لا يظهر للناس بوضوح . لوجود منافقين فى كل ملة « يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » وأما الأعمال فانها لظهورها من المرء ، هى التى تدل على قيمته فى نظر الناس . وتدل على دينه ، وتدل على قوته فى دينه . فمن لا يرتكب الكبائر من المسلمين يكون فى نظر المخلصين منهم مسلما مخلصا ، أو مؤمنا جيد الايمان ، ومن يرتكب الكبائر يكون فى نظـر المخلصين منهم أ — اما مسلم عاص ب — واما فاسـق ت — واما كافر . فأهل السنة قالوا : هو مسلم عاص . والمعتزلة(١) قالوا : هو فاسـق . لا نقبل شهادته على غيره ، ولكن لا يقتل . والخـوارج قالوا : هو كافر ويحارب كالكافر . ولذلك حاربوا عليا رضى الله عنـه لأنه قبل التحكيم . والتحكيم فى نظرهم معصية . **فالأعمال من المرء** هى التى أظهرت حـكم الناس عليه ، وبسبب الأعمال تعـددت المذاهب العقائدية عند المسلمين .

وبعد هذا التمهيد نقول :

---

(١) المعتزلة والأشاعرة يتفقان فى أمور ويختلفان فى أمور . والمعتزلة لا يكفرون الأشاعرة ولا يفسقونهم ولا يخرجونهم عن جمـاعة المؤمنين .

والأشاعرة — الذين يمثلون أهل السنة — لا يكفرون المعتزلة ولا يفسقونهم ولا يخرجونهم عن جماعة المؤمنين . ويقولون عنهم : انهم مسلمون اختلفوا معنا فى تفسير العقائد . والمعتزلة فى المذاهب الفقهية مثل الأشاعرة فمنهم الحنفى ومنهم الشافعى ومنهم الحنبلى ومنهم المالكى . وأهم المسائل الخلافية بين المعتزلة والأشاعرة : مسألة القضاء والقدر ، ومسألة الاسلام هل هو قول فقط كما يقول الأشاعرة ، أو قول وعمل كما يقول المعتزلة . وهل صفات الله زائدة على ذاته ، أم هى عين ذاته ؟ مع اتفاق الكل على أن الله هو الخالق للعالم وحده وأنه القادر على كل شىء .

ومثل القضاء والقدر — ولله المثل الأعلى — مثل رجل وضع سورا كبيرا على أرض فضاء ، ووضع داخل السور بيوتا وزرع زرعا ، وأجرى عيون ماء . ثم وضع فى داخل السور عبيدا واماء وبطا وأوزا وغنما وبقرا ... الخ . ثم راقبهم ماذا يفعلون ؟ ولابد من فعل بين العبيد والاماء ؛ وبينهم وبين الحيوانات ، وبين كل واحد مع بنى جنسه . وهذا الفعل من يفعله ؟ **هذا هو السؤال** . فأهل السنة يقولون : الفاعل هو الله . لأن الأرض والسور وما بداخل السور ، ملك لله . وهو الذى أحضر وأوجد وتسبب فيكون هو الفاعل ، لأنهم نظروا الى طبيعة تكوين العالم . والمعتزلة يقولون : ان الله أوجد الأرض والسور والأشياء كلها ، ولم يأمر مخلوقا بأن يفعل أو أن لا يفعل الشر . فهم الذين فعلوا بارادتهم وتصرفوا على الغرائز المخلوقة فيهم من الله . لكن الله لم يفعل .

هذه وجهة نظر الفريقين . وعلماء التربية فى المدارس والجامعات ومربو النشء والمصلحون يفضلون مذهب الاختيار فى التربية على مذهب الجبر ، لأنه يقوم السلوك ، ويزجر عن الرذائل ويحث على تحمل المسئولية . ولأن القرآن فيه آيات عن مسئولية كل انسان لأعماله . منها قوله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه . ونخرج له يوم القيامة كتابا ، يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » وقوله : « بل طبع الله عليها بكفرهم » فالختم والطبع من الله ، يكونان بعد الكفر .

(راجع الجزء التاسع من المطالب العالية من العلم الالهى . للامام فخر الدين الرازى — والمجلد الثانى من المحصول فى أصول الفقه ، للامام فخر الدين الرازى — نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة) .

الايمـــــان

ان الأشاعرة — وهم من أهل السنة والجمـــاعة — لا يفسرون كلمة الايمان الا على المعنى الحقيقى فى أصل الوضع . وهو « التصديق بالقلب » وينبذون معنى الايمان فى مسمى الشرع . لأن الايمان فى مسمى الشرع هو ١ — التصديق ٢ — والعمل . والفرق بين الأشاعرة رضى الله عنهم وبين الخوارج والمعتزلة : هو أن المصدق بقلبه بالله تعالى هو من أهل الجنـــة بفضل من الله ورحمة . على مذهب الأشاعرة ، ولو لم يعمل بالدين ، وأن هذا المصدق بقلبه هو من أهل النار اذا لم يعمل بالدين على مذهب الخوارج والمعتزلة . وهل يلزم المصدق بقلبه أن ينطق بالشهادتين ؟ اختلف الأشاعرة فى النطق بالشهادتين . فقال بعضهم : الايمان هو أ — تصديق النبى ب — ونطق بالشهادتين . وقال بعضهم : هو التصديق فقط .

وهذا هو البيـــان :

الايمان لغة : مطلق التصديق . وشرعا : فيه مذاهب . أى مختلف فى معناه بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة وغيرهم . والمشهور من مذهب أهل السنة رأيان : أحدهما : رأى جمهور الأشاعرة والمـــاتريدية . وثانيهما : هو رأى الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وبعض الأشاعرة .

فجمهور الأشـــاعرة والمـــاتريدية يقولون : ان الايمان هو تصـــديق نبينا محمد صلى الله عليه وسليم بالقلب فيما علم مجيئه من الدين بالضرورة . ومعنى بالضرورة : أى بدون توقف على نظر واستدلال . كوجود الله تعالى وأنه واحد وقادر ومريد وعالم وحى ومتكلم وسميع وبصير وأنه أرسل النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب . وأنه سيبعث النـــاس من بعـــد الموت ليحاسبهم على أعمالهم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره » وانه شرع فى القرآن شرائع ، لخير الناس فى الدنيا . كالنفس بالنفس والعين بالعين وكقطع يد السارق وما شابه ذلك من أحكام الحلال والحرام .

فمن علم هذا ، وصدق عليه بقلبه أن دين الاسلام حق . ولم يشك فى حكم من أحكام الله . فهو مؤمن عند الله وعند الناس . ولا يشترط فى صحة ايمانه أن يعرف الدين الاسلامى بالتفصيل . بل يكفى الاجمال فيما فيه اجمال . مثل أن يعتقد فى وجود الملائكة النورانيين ، ككل . وليس بلازم أن يعرف عددهم ولا أسماءهم على التفصيل .

والمراد بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم هو : الاذعان والقبول لما جاء به من عند الله — وهو القرآن الكريم — بدون عناد وتكبر . لقوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وقلنا بدون عناد وتكبر .

(أ) لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يصدقون بقلوبهم أن دين الاسلام حق ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم . لقوله تعالى : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ومع ايمانهم ، يعاندون الله بالتكبر ، عن الدخول مع المسلمين فى دين الاسلام ، كما قال تعالى : « ود كثير من أهل الكتاب : لو يردونكم من بعد ايمانكم : كفارا . حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

(ب) ولأن بعض الكفار يجحدون دين الاسلام . مع تيقنهم بصحته . ويمتنعون عن الدخول فيه لأغراض دنيوية ، ومنافع شخصية . وهؤلاء يقول الله عنهم : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » .

وعلى مذهب الأشاعرة تكون الأعمال شرط كمال للايمان ، ولا يفقد الايمان فقدها ، والنطق بالشهادتين ليس شرطا فى صحة الايمان .

— خلافاً لأبى حنيفة وأصحابه وبعض الأشاعرة — وانما ينطق بها المؤمن ، ليعرف المسلمون انه صار منهم . فيعاملونه معاملة المسلمين . والنطق شرط لاجراء الأحكام الدنيوية على كافر يريد الدخل فى الاسـلام . والأحكام الدنيوية هى غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين . وبيان حقه فى المواريث . ومن بلغ من أولاد المسلمين ، فالنطق بالشهادتين ليس شرطاً لاجراء الأحكام الدنيوية عليه . اذ هو مؤمن تبعاً لأبويه ، الا اذا ظهر منه ما ينافى الايمان ، فنحكم عليه بالكفر ، كأن يسجد لصنم أو يصف الله — سبحانه وتعالى — بما لا يليق بذاته المقدسة . ولا نحكم بالكفر على شارب الخمر . الا اذا استحل تحريم الخمر فيكفر باستحلالها ، لا بشربها وهو غير مستحل لها(١) .

والنطق بالشهادتين واجب مرة فى العمر على كل مكلف كحمد الله تعالى ، والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وتاركهما مؤمن عاص .

وعلى ما قدمنا فى حقيقة مذهب الأشاعرة . يكون من صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين ، فهو غير مؤمن عندنا ، فلا نعامله معاملة المسلمين .

٢ — **أبو حنيفة وأصحابه وبعض الأشاعرة** : ان الايمان الذى قد صار فى مسمى الشرع دلالة على الديانة ، لا يشترط فيه العمل . بل يشترط فيه شرطان هما ١ — تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ٢ — والنطق بالشهادتين . فهو مركب من جزءين ولا يتحقق الا بهما معاً ، الا فى حق العاجز عن النطق والمكره . فايمانهما يتحقق بتصديق القلب فقط ،

---

(١) الخوارج يحكمون على شارب الخمر بالكفر سواء كان مستحلا لها أو غير مستحل لها . لأن الايمان عندهم : ايمان وأعمال . والمعتزلة يحكمون عليه بالفسق اذا كان غير مستحل لها . ويحكمون عليه بالكفر اذا كان مستحلا لها .

ولا يتوقف على النطق بالشهادتين . فالتصديق بالقلب جزء من حقيقة الايمان لا يحتمل السقوط أصلا . والنطق بالشهادتين جزء من الايمـــان ، يحتمل السقوط عند العجز أو الاكراه . لقوله تعـــالى : « لا يكلف الله نفســـا الا وسعها » .

الاســـــلام

الاسلام فى اللغة هو : مطلق الانقياد . أى الاستسلام للأمر . والمستسلم للأمر قد يعمل به وقـــد لا يعمل به . وفى مذهب الأشاعرة انه ليس بلازم للمستسلم أن يعمل بالأمر . وانما اللازم عليـــه هو الامتثال تقبول الأمر فى الظاهـــر .

١ ــ فجمهور الأشاعرة يقولون : ان الاسلام الذى هو بمعنى « الديانة » هو الامتثال الظاهرى لأوامر الشرع ونواهيه ، وقبولها وعدم ردها ، **سواء عمل الممتثل بمقتضى تلك الأوامر والنواهى أم لم يعمل** . فالعمل بمقتضى الأوامر والنواهى ليس من حقيقة الاسلام ، بل هو كمال الاسلام ، فلا يفقد الاسلام بفقـــده .

وعلى مذهب هؤلاء الأشاعرة . يكون الاسلام والايمان متغايران فى المعنى . لأن الاسلام هو الامتثال الظاهرى ، والايمان هو التصديق الباطنى بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا أنهما متـــلازمان فى التحقق بحسب الشرع . فلا يوجد اسلام معتبر شرعا بدون ايمان . ولا يوجد ايمان معتبر شرعا بدون اسلام . ولا يوجد مسلم ينجو فى الآخرة ليس بمؤمن ، ولا مسلم ليس بمؤمن .

---

(١) المعتزلة يستدلون بمثل قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس نزلا » على أن الايمان : ايمان وعمل . ومن يمت على غير توبة من المسلمين ينصب له ميزان فى القيامة . وبحسب الميزان يستحق الجنة أو يستحق النار . فاستحقاقه الجنة عنـــدهم ليس بالايمان وحده . ومذهبهما قد بسط أدلته وشرحها ورد عليها الامـــام فخر الدين الرازى . فى أول سورة البقرة من تفسيره الكبير .

وقد يوجد اسلام بدون ايمان ، كما في المنافقين . الا ان هذا الاسلام غير معتبر شرعا ولا ينجي صاحبه . لقوله تعالى : « ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد لهم نصيرا » .

٢ — وجمهور الماتريدية وبعض محققى الأشاعرة يقولون : ان الاسلام شرعا ، مثل الايمان . هو : التصديق الباطنى بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة . وعلى هذا المذهب فالاسلام والايمان متحدان في المعنى ، ومتغايران في اللفظ ، بمنزلة البر والقمح والأسد والغضنفر . والنطق بالشهادتين هو دليل على ما في القلب من الايمان والاسلام .

(تم الكتاب)

لقد أتممته حمدا لربى ... على ما قد اعان من الكتاب
ليدع الله ربى من رآه : ... بمغفرتى ، وتجزيل الثواب
فقد أيقنت : أن الخط يبقى ... وتبلى صورتى تحت التراب

صححه

محمد حجازي احمد السقا

أسئلة

١ — بين المعنى اللغوى للألفاظ الآتية :

١ — الصلاة ٢ — الايمان ٣ — الاسلام

٢ — بين المعنى الشرعى للألفاظ الآتية :

١ — الصلاة ٢ — الايمان ٣ — الاسلام

٣ — ما معنى ترادف الالفاظ ؟

٤ — اذكر ثلاثة امثلة على ترادف الألفاظ على معنى واحد .

٥ — ما معنى « الايمان » عند جمهور الأشاعرة ؟

٦ — ما المراد بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم ؟

٧ — هل الأعمال شرط كمال فى الايمان أم شرط صحة عند الأشاعرة ؟

٨ — ما حكم النطق بالشهادتين فى الايمان ؟

٩ — بين مذهب أبى حنيفة فى معنى الايمان .

١٠— عرف الاسلام على مذهب الأشاعرة .

١١— هل العمل ركن من أركان الاسلام على مذهب الأشاعرة ؟

١٢— عرف الاسلام والايمان على مذهب جمهور الماتريدية .

١٣— هل يلزم النطق بالشهادتين لمن بلغ من أولاد المسلمين ؟

١٤— ما حكم المستهزىء بالشريعة من المسلمين ؟

١٥— كم مرة فى العمر تجب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؟

١٦— افرق بين شرط الكمال وشرط الصحة (٠)

١٧— اشرح هذه العبارة : « مما علم من الدين بالضرورة » (٠)

فهـــرس

رقم الايداع ١٩٩٣/٥٦٨٢

دار عطوة للطباعة
٩ شارع المقاولين بجنينة ناميش